..... وكان الانسان الانسان

.قيل انه لا توجد رجالات حسنة، توجد فقط نوايا حسنة

من ذاك العام، مخاض الوطن. باقات من زهور ضمت احلامَ الشبابِ من معاصرِ المدنِ التي انهكتها سنين الحرب العشوائية.

و كان الرهان على الزرع

ان كنت تريد حصاداً ما، يوما ما، في وطني المتعب.

بسمة املِ حولت السلاحَ الى قلم في ايدي الحالمينَ ببناءِ وطن. دول الاحلامِ باتت على بعد خطوات...(غادروا ولا تهاجروا، عودوا بعلمِكم لترفعوا علَمَكم ، فيكونَ وطن اليومِ جنة الغد.)

وكان الموعد مع الحلم

!وثيقة سفر وشهادة وحقيبة، الوان وجوههم تحكي قصصَ اعمارهم

واختلطت لهجات الشمال، الجنوب والبقاع مع ابن المدينة، واقلعت الطائرات لأول مرة ليس الى المجهول.

انبل مشروع انساني عرفه وطني، ارسل طائراته في السماء، رايات، عقول، افئدة واحلام اجيال، غادرت لتعود فيكون الوطن ويكون الانسان الانسان.

.نيس، تشرينها كان عبَقَه ارزاً !! ذاك العام !! تلك المدينة الحلمِ عانقتني ورفاقَ دربي

كخلايا النحل في الاروقة، ذهاب واياب كارتال نمل دون ملكة كنا، وعمال المكانِ كانوا كمن يحاول تنظيم اقامة مئات الزائرين من كوكب المريخ.. وكيف لمسافرِ عجولِ الا ينسى فرشاةَ اسنانه!؟

اجيال الحربِ والمعاناةِ والعطشِ للجمالِ تعانقوا والاشجارَ الفالبونية، فكان ذاك اليوم من ذاك العام.

وحده كان يرى شوقَ العيونِ لغفوةِ دون ضجيج المدافع.

وحده راهن على الخيرِ القابعِ في اعماقِ البشر. على شوقِ الناسِ للضحكِ دون الألم، وحده اغدق دون حسابِ في سبيلِ انتشالِ ابناءَ الجيلِ المنسيّ من دوامة الحرب الى الحياة وحب الآخرِ دون التمعنِ في الاسم، ومحلة الولادة والدين، وحده صاحب تلك البسمةِ الابويةِ جمع تلك الباقة، من خليط الالوان والهموم مراهنا فقط على عطر البشر. ان تعيدَ بَنيِ الانسانَ فإنكَ تعيد بناءَ الوطن.

.

ابناء فينيقيا وارض كنعان عادوا وركبوا البحرَ إلى كورسيكا حيث مكث الأجداد يوما.

أعبثية القدر هي؟ ام شحنة فجّرت نواةَ البحارينَ فينا.

دِوَار البحرِ غادر بنا واطلقت أجسادنا احمالها. امواج التغيير عانقت امواجَ البحرِ، هناك جمال ينتظر وما ملَّ الجمال يوما انتظار البشر.

ومن الوان المهرجانات الحزبية الرمادية الهزلية، الى مهرجان الالوان في نيس... وباحراق الملك استيقظت فينا طفولة كانت.

.طفولة ضاقت برسم قوانين اللعب على جدران الملاجئ

احرق اهل نيس ملكهم واحرقنا نحن احفاد الأرز معهم ذكريات الضحكات الخافتة تحت ازيز الرصاص وتواعدنا على مهرجان للوطن بالوان قوس قزح.

الزرع ان حَسنَ سقيه، ازهر واثمر فانتج.
وما كان لقاؤنا الرياضي مع ابناء فالبون الا دليلا آخرا على ان لبنان، هذا البلد الصغير قادر مرة أخرى على تصدير ظلال ارزه، كبرياء جباله، كرم سهله وسحر مدنه رغم مآسي حروبه و حروب الآخرين على أرضه، لسنين عجاف.

فينيسيا، بندقية ساحرة انت، البنادق كان لها شكل آخَرَ في وطني. ايتها المدينة العائمة الحالمة، كم كان عناقك شاعريا... رحلة ا لخيال في الخيال...
كم رسمت اقدامَنا من أحلام على رمالك. كم ناجينا ملح بحرك ان بلغ سواحلنا بأن سواعدنا عائدة لبناء الوطن وفي القبضة رايات العلم مرفرفة.

وبعد سنين يتكشَّف لمن عاصرَ المرحلة، كم كان (الإنسان المشروع) راقياً وواعداً. اية مخاطرة كانت تلك التي تدفع للقيام برحلة للعشرات من اليائسين الى(مهرجان كان) العالمي للسينما، الا لمن كان مؤمنا وواثقاً بقدراتِ شباب وطن كان رائداً في فنونه في سبعينيات القرن العشرين. (كان) ايتها المدينة الساحرة، في وطني عيون حالمة، عقول توّاقة للعلم والفرح... حلمي انا ابن بيروت، ابن لبنان، لن يقف متسولا عند يخوتك الراسية، انا (الإنسان المشروع) ومراكب عاصمة الأرجوان ها قد أبحرت.

وكان ذاك العام من عمر البشر، وكيف لعام ان يُختزل في سطورٍ باهتةٍ. من عام، كان الطبيب، المهندس، الصحافي، المعلم، وكلٌ عاد بحمله وحلمه فكان الانسان المشروع، تجربة الإنسان، (فالإنسان الإنسان).

.....
ما انصفكَ إنسانيَّةً تمثال من الحجر
ولا اكاليل ورود قابعة عند صنم
الخير اجمل من بسمة في البشر
طوبى لمن كفّيه أكثر عطاءاً من سَنَم
وأن كانت الآراء تتعارض دائماً في وطني، يبقى الشهيد رفيق الحريري صاحب الفكرة الأكثر إنسانية التي عرفها لبنان في العقود الأخيرة.
بعيدا عن السياسة والركون إلى اتجاهاتها، كان الأكثر جرأةً والأقرب إلى الشباب. بضع سطور لن تنصفَ الإنسان، وما هي الا عبارات شكر وامتنان اطلقها الوجدان (للانسان).

كان الرجل المشروع...كان الوطن في إنسان
الشهيد رفيق الحريري الإنسان.
ابو عبيدة